

Language and Literature
A peer-reviewed Scientific journal
Issued by
the Department of Arabic Language
and Literature

اللغة والأدب

I.S.S.N: 1111-1143
E.I.S.S.N: 2602-5205

اللغة والأدب
مجلة علمية محكمة
يصدرها
قسم اللغة العربية
وآدابها

تعليم العربية بين الموروث والمستحدث

Teaching Arabic between the inherited and the innovator

شفيق طه النوباني Shafeek Taha An-Nobany
جامعة ظفار، الأردن Dhofar University, Jordan
Shafeekro@yahoo.com
بسمة النوباني Basma An-Nobany
Shadeekro@yahoo.com

الإيميل:	المؤلف المرسل (باللغتين): الاسم الكامل:
Shafeekro@yahoo.com	شفيق طه النوباني Shafeek Taha An-Noubani
تاريخ القبول:	تاريخ الاستلام:
2019/06/04	2018/06/27

ملخص.

تتناول هذه الدراسة تعليم اللغة العربية بوصفها لغة تتازعها ثنائية الموروث والمستحدث، إذ تحاول أن تصرف الأنظار إلى اللغة نفسها بوصفها مادة للتعليم، وهذا ما اقتضى تناول تحديات اللغة العربية بوصفها لغة حاوية للعلوم. وفي سياق تناول مدى تحقيق اللغة العربية لشروط المعاصرة ناقش الباحثان تعليم العربية من خلال ثلاثة جوانب أساسية تمثلت في مهارات اللغة وأثر الازدواجية في تعلم هذه المهارات، والمادة المتعلمة، ومرونة اللغة المتعلمة، إذ أبرزتا من خلال دراستهما أهم التحديات التي تواجه العملية التعليمية، سواء أكان ذلك على مستوى تعلم مهارات اللغة أم كان متعلقا بترسيخ صورة معينة للغة في ذهن الطالب.

وقد اعتمد الباحثان في هذه الدراسة بصورة أساسية على خبرتهما التعليمية واللغوية، بالإضافة إلى تجارب صغرى قاما بها في عدد من مدارس مدينة جرش الأردنية، إذ اعتمدت هذه التجارب على قياس المهارات المتعلقة باللغة العربية، فضلا عن الاستشهاد بأحد كتب المناهج المدرسية، إذ اقتصرنا في ذلك على كتاب اللغة العربية للصف العاشر الأساسي في الأردن.

الكلمات المفتاحية: تعليم/عربية / الموروث /المستحدث

Abstract:

This study discusses the learning of Arabic language which suffers from the duality of the inherited and the innovator. The study focuses on the language itself as a material of learning. Therefore, this study tries to investigate the challenges that face Arabic language as a language that gather science. To shed light toward the modernity of this language, the researches discuss the pedagogic of Arabic through the following points; language skills, the effect of duality on learning the material and the flexibility of the learned language. They highlighted the challenges facing the educational process, whether at the level of language skills or whether it is about establishing a certain image of the language in the student's mind.

Basically, the researchers based on their own experience of teaching in addition to several class experiments in the schools of Jerash City in Jordan. The study is limited to the book of Arabic language in Jordan exclusively the tenth grade.

Keywords: teaching/ arabic/ inherited/ innovator

مقدمة:

السياق الإشارة إلى أن هذه الدراسة لا تلتفت إلى أساليب التدريس وطرائقه بمقدار ما تلتفت إلى اللغة نفسها بوصفها أداة فاعلة في تشكيل الفكر، ومن هنا فلن يكون الاستشهاد بكتب المناهج المدرسية ضروريا في كل الجزئيات التي تتناولها الدراسة، كما أن من الممكن أحيانا الاستشهاد ببعض المواقف اللغوية من غير الكتاب المدرسي.

1-الموروث والمستحدث في اللغة العربية

يفرض تعليم اللغة العربية أولا النظر في اللغة نفسها بوصفها موضوعا للتعليم، فما مستوى اللغة التي يفترض أن تتعلمها؟ وما المادة اللغوية التي يفترض أن يتحقق من خلالها الفعل التعليمي؟ وما أثر ذلك على المتعلم؟ وما موضع هذا المستوى اللغوي من جدلية الموروث والمستحدث؟ ولعلنا لن نتردد في تحديد العربية الفصيحة بوصفها مادة للتعليم، على الرغم من وجود بعض الدعوات التي نادى بإحلال اللهجات المتداولة محل الفصيحة، أما تحديد اللغة العربية الفصيحة في أحد طرفي ثنائية الموروث والمستحدث فأمر يحتاج إلى قدر من الاجتهاد. فعلى الرغم من أن الفصيحة لغة موروثية إلا أنها لم تبقى على الهيئة نفسها منذ أكثر من ألف وأربعمئة عام، بل تعرضت لبعض التغييرات المحدودة على مستويات متعددة، وإن كان من السهل تسويغ التغيير المتعلق بالمستوى المعجمي والدلالي من خلال الإشارة إلى المولد والدخيل والأثر الناجم عن

شغلت قضية التراث والحداثة المشتغلين في مجال الفكر والأدب واللغة منذ بدايات النهضة العربية في العصر الحديث، وعلى الرغم من أن الدارسين تناولوا اللغة العربية من هذا المنطلق إلا أن دراساتهم ركزت على المقاربات التي حاولت إيجاد مواطن اللقاء بين الدراسات اللغوية القديمة والحديثة، كما هو الحال في تلك الدراسات التي حاولت أن تربط بين تحويلية تشومسكي وعقلانية سيوبه، غير أن دراسة تعليم العربية من هذه الناحية بقيت محصورة على الرغم من أهمية هذا المجال الفائقة، فالتعليم هو المدخل الذي يمكن من خلاله الوقوف على اللغة بوصفها مؤسسة مؤثرة في كل مجالات الحياة، وهذا ما يستدعي الاهتمام بها بصورة تتجاوز الأنظار البحثية المتعلقة باللغة وأنظمتها الداخلية إلى الاهتمام بتأثير اللغة على تفكير المتحدثين بها من خلال فعل التعليم.

ولا يختلف اثنان على أهمية المناهج المدرسية في اكتساب أبناء العربية للغة، وأثرها في تشكيل تفكيرهم. ومن هذا المنطلق فقد استشهدت هذه الدراسة بنموذج من المناهج المدرسية؛ هو منهاج اللغة العربية للصف العاشر في الأردن، كما استشهدت بعدد من الحصص المدرسية التي حضرها الدارسان، مما يجعل هذه الدراسة غير مقصورة على المنحنى النظري. ولعل من الضرورة بمكان في هذا

العربية الفصيحة قطعت شوطا لا بأس به في مجال التحديث إلا أنها ما زالت تواجه تحديات عديدة في هذا المجال، فمهما كانت مشاعرنا تجاه العربية لن نستطيع أن نصفها بأنها لغة حاوية للعلوم الحديثة، ولن نستطيع أن ننكر أن ضعفا عاما في مهاراتها يشوب أبناءها، كما لا نستطيع أن نتجاوز نظرة الكثير من أبنائها إليها على أنها لغة غير جديرة بالتعلم أو بتلقي العلم من خلالها. وهذا كله من الأسباب التي تدفعنا إلى محاولة البحث عن إجراءات تمكن العربية والمتحدثين بها من خوض غمار العصر بقوة أكبر.

لا يختلف اثنان على أن التعليم يمثل واحدة من أهم القنوات التي يمكن من خلالها تطوير استخدامات اللغة بما يمكن المتحدثين باللغة من الانفتاح على معطيات العصر في مجالات العلوم المتنوعة دون أن يمنع ذلك من الحفاظ على أصالة اللغة، فما الإجراءات المبدئية التي يفترض التعامل من خلالها مع تعليم اللغة وتعليم العلوم من خلال اللغة؟ وما الآليات التي يمكن من خلالها تخطي التحديات المتعلقة بتعليم العربية وتعليم العلوم من خلال العربية؟

ومن أجل الإجابة عن هذه الأسئلة لا بد من تناول العملية التعليمية من خلال جوانبها المتنوعة؛ إذ تمثل المهارات اللغوية بأشكالها المتعددة هدفا أساسيا يسعى الفعل التعليمي إلى تمكينه لدى الطالب. ويمثل الكتاب المعتمد في العملية التعليمية منطلقا أولا لتعليم هذه المهارات. ولا شك أن هذه العملية التعليمية تهدف إلى ترسيخ شكل معياري عام للغة يفرض تناول مسائل لغوية دون

الترجمة واتساع متطلبات الحياة فإن التغيير المتعلق بالنظام النحوي مثلا يحتاج إلى قدر من التوضيح.

إن الناظر في كتب اللغة والنحو في التراث العربي سيجد أنها تسعى إلى استخلاص القاعدة النحوية أو الصرفية دون أن تستبعد تلك الشواهد التي خرجت عن القواعد المستخلصة، فإذا تناول النحوي الشواهد المطردة كان الواجب في بحثه أن يتناول شواهد أخرى غير مطردة مع القاعدة. أما الكتب المدرسية الحديثة في مجال النحو العربي فتتخفف من هذه الشواهد الخارجة على القواعد الأساسية. وقد انعكس تركيز الاهتمام بأساسيات القواعد على اللغة المكتوبة التي أصبحت مع الزمن أكثر انسجاما مع هذه القواعد. ولعل ذلك يمثل أحد مواطن العلة في سلاسة اللغة الحديثة ووضوحها، فأبناء العربية أصبحوا أكثر انسجاما في كتابتهم مع القواعد اللغوية الأساسية التي ينبغي تمثلها عند فعل الكتابةⁱⁱ.

لقد سارت اللغة الفصيحة نحو التشذيب والاستقرار مع تقدم الزمن، ومع تجاوز الآراء اللغوية التي كانت تمثل حواشي طويلة على القواعد النحوية، بل إن هذا الميل نحو الاستقرار طال بعض الأصوات الصامتة في اللغة، فحرف الضاد متفق على لفظه الآن على الرغم من أننا لو اتجهنا إلى كتب التراث لوجدنا أن هناك من يصف حرف الضاد بصورة مختلفة تماماⁱⁱⁱ.

إن الناظر في العربية الفصيحة المعاصرة سيجد فيها المستحدث الممثل لمعاصرتها دون استبعاد المكون التراثي الأصيل فيها. وهي في أية حال لن تتعد عن هذا المكون بحكم ارتباطها بالنظام اللغوي، وبحكم كونها لغة جذرية تتقبل توليد الصيغ والمصطلحات باستمرار. وعلى الرغم من أن

الآثار السلبية للازدواجية في التعليم من ناحيتين، أولهما تتعلق باكتساب اللغة، وثانيهما تتعلق بالنظرة إلى اللغة.

أخرى. وسنحاول من خلال هذه الدراسة تناول هذه الجوانب الثلاثة.

أولا. اكتساب اللغة المتعلمة

لا شك أن عرض المادة اللغوية المكتوبة سواء أكانت متعلقة باللغة أم بموضوعات أخرى سيؤدي إلى خلل في اكتساب اللغة إن لم تقدم المادة باللغة المتعلمة نفسها، إذ سيدمج المتعلم بين الفصيحة والعامية، وسوف يتعامل معهما على أنهما نظام لغوي واحد. والناظر في أداء الشريحة الأوسع من المتعلمين سيجد أثر الازدواجية من خلال العديد من الظواهر المتعلقة باكتساب مهارات اللغة، إذ لا يقدم المتعلم على التحدث بالعربية الفصيحة، فيجد اللهجة أقرب إليه في التعبير اللغوي، حتى أن بعض من تمكنوا من لغة أخرى غير العربية كثيرا ما يجدون تلك اللغة أقرب إليهم من الفصيحة.

وقد حضر الدارسان ست حصص صفية^{iv} لدى ستة معلمين للغة العربية في سياق الإعداد لهذه الدراسة، فوجدنا أن معلما واحدا من بين المعلمين الستة استخدم اللغة العربية الفصيحة مع اللجوء أحيانا إلى اللهجة المحلية، في حين استخدم معلم واحد لغة متوسطة تتعد عن تشكيل أواخر الكلمات، والمعلم الثالث استخدم الفصيحة بأخطاء متعددة في الإعراب دون أن يستغني عن اللهجة في بعض المواقف الصفية، أما بقية العينة فقد مالت إلى استخدام اللهجة المحلية خاصة في المواقف الصفية الشفاهية المتعلقة بشرح القاعدة النحوية. ولعل من الضرورة بمكان الإشارة إلى أن الحصص التي

2- تمكين مهارات العربية والازدواجية

تتجلى اللغة من خلال مهارات أساسية تتمثل في مهارات الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة، التي يمكن حصرها في مهارات الاستقبال والإرسال. وتعليم اللغة فعل يسعى إلى ترسيخ المهارات اللغوية من خلال هذه المهارات نفسها، فإذا التفتنا إلى طبيعة العملية التعليمية التي يفترض فيها انسجام الغاية مع الوسيلة سنقف على إشكالية الازدواجية ذات الأثر العميق في تعليم العربية.

تباين اللغة العربية الفصيحة مع اللهجات المتنوعة تباينا واضحا، إذ يمتظهر هذا التباين من خلال أكثر من مستوى من مستويات اللغة، فعلى المستوى الصوتي نجد تحولا في بعض الأصوات، وعلى المستوى النحوي يتلاشى الإعراب، وعلى المستوى الصرفي نجد تهاونا في الكثير من الصيغ، حتى أن هذا التباين يجعل من استخدام تعليم الفصيحة من خلال اللهجات ازدواجية واضحة لها أثرها السلبي الواضح في تعليم العربية، فبعيدا عن إمكانية الاستشهاد ببعض الجمل من العامية لتوضيح بعض قواعد اللغة يمكننا الوقوف على العديد من

أن نسبة الذين يتفنون الحركات لم تتجاوز 23 % من العينة المختارة التي بلغ عددها مئة طالب، وقد اعتمد الاختبار على اختيار مجموعة من الكلمات التي تفرق في دلالاتها من خلال الحركات، كما هو الحال في المثال الآتي: (سَمَنَ، سَمَنَ، سَمَنَ، سَمَنَ، سَمَنَ، سَمَنَ)، إذ طلب من الطلبة قراءة هذه الكلمات مراعين الحركات بدقة، ولوحظ أن ثلاثة من كل عشرة طلاب تمكنوا من القراءة دون أخطاء⁷. والأغلب أن مثل هذه الإشكالات في القراءة تعود إلى ضعف تأسيس الطلبة في المراحل الدراسية الأولى، إذ لا ينظر إلى الحركات بوصفها مكونا أساسيا في الكلمة، فلا يتم التركيز عليها من المعلم، وكثيرا ما يُتعامَل معها بصورة جزئية، فيتعلم الطالب كيفية لفظ الحركة مع الحرف دون أن يتدرب على لفظ الحركة في إطار بنية الكلمة.

ولعل لتأثر المتعلم باللهجة المحلية أثرا كبيرا في ظهور مثل هذه الأخطاء، فالناظر في اللهجات المحلية سيجد أنها في مجموعها تجاوزت سمة صوتية بارزة في الفصحى، فمن المعروف لدى دارسي العربية أنها لا تبدأ بساكن ولا يلتقي فيها الساكنان، وهي سمة تؤدي إلى الوضوح الصوتي، في حين أن اللهجات تجاوزت هذه السمة الصوتية في ميل طبيعي منها إلى تسهيل اللفظ وتهوينه.

يبدو أن تجاوز اللهجات المحلية لهذه السمة الصوتية انعكس على تعلم الفصحى، إذ لم يكتسب المتعلم الفصحى من خلال الاستماع ولم يتحدثها بالصورة المناسبة، ولم يتعرض لمواقف تعليمية مناسبة تجعل من اللغة الفصحى قناة نقل المعرفة، مما أدى إلى نتيجة مفادها تشويه المادة المقروءة وفق معايير اللغة العربية الفصحى.

استخدمت فيها اللغة العربية الفصحى حصص مخصصة لدروس مهارات الاتصال، فهي تحتوي مواقف صافية تتطلب طرح أسئلة استيعابية على الطلبة بالعربية الفصحى، كما أن جزءا كبيرا من الحصص مخصص لقراءة النص، أما الحصص التي غلبت عليها اللهجة المحلية فهي حصص قواعد اللغة.

ولا تخفى على الدارسين أسباب استخدام اللهجة المحلية في شرح قواعد الفصحى، فالمعلم يقترب أكثر من اللهجة المحلية حين يحاول تقرب فكرة للطلبة من خلال مخزون معرفي جاهز لديه، فاللهجة تمثل المستوى الذي تمكنت من خلاله عملية الإنتاج اللغوي لديه. أما في تدريس نصوص مهارات الاتصال فهو يعتمد على النص بصورة أكبر مما يقلل من فعل إنتاج اللغة. ولا شك في أن لذلك أثرا كبيرا على تمكين الفصحى لدى الطالب، إذ لن يتوصل للنظام اللغوي للفصحى إلا على أنه نظام غريب عن لسانه، فهو لا يستخدم الفصحى، ولا يرى نموذجا قائما لاستخدامه، مما يبعد الفصحى عن كونها وسيلة للتواصل.

أما على مستوى القراءة، وهي المهارة التي يفترض أن تكون أكثر تمكنا لدى متعلم العربية بحكم كونها مقيدة بما هو مكتوب على خلاف التحدث الذي يبدو أكثر ارتباطا بالارتجال، فسنجد أن هناك إشكالات لدى المتعلمين تصل إلى درجة عدم التمييز بين الحركات حتى في مراحل متقدمة، فكثير من الطلبة لم تعتد ألسنتهم على التنقل بين الحركات والسكنات في أثناء فعل القراءة، مما يلغي خصائص مرتبطة باللغة المقروءة كتجاوز بعض الصيغ الصرفية، وتجاوز الإعراب.

وقد أجرى الباحثان اختبارا شفويا لعينات من طلبة المدارس في الأردن، فوجدا

إشارة واضحة إلى طبيعة فهم الطالب لفعل الكتابة، فهو يستخدم تلك الجمل المحفوظة في ذهنه باعتبارها مدخلا مناسباً يضع من خلاله نفسه في جو الكتابة بالفصيحة، إذ يمكن أن يلجأ من خلال هذه الجمل التي اعتادت عليها أذنه إلى البدء بالموضوع الذي سيكتب فيه من خلال المستوى اللغوي نفسه.

وقد سبق أن طلبنا من طلبة الصف العاشر التحدث أمام بقية العينة في موضوع "أطفال اليوم بناء المستقبل" فبدأ أربعة طلاب من مئة بمقدمة الخطبة دون أن يتمكنوا من إكمال شيء يذكر عن الموضوع الذي طلبنا منهم أن يتحدثوا فيه، في حين بدأ أربعة طلاب بهذه المقدمة ليترسلوا بعد ذلك في الموضوع ويلجؤوا أحيانا إلى اللهجة. وقد استطاع ثلاثة طلاب فقط التحدث بالفصيحة دون أخطاء تذكر، وتحدث ستة طلاب بالفصيحة مع تسكين الآخر في الأغلب أو بأخطاء متعددة، في حين دمج سبعة عشر طالبا بين اللهجة والفصيحة، وتحدث خمسة عشر طالبا باللهجة دون أن يحاولوا التحدث بالفصيحة مع أننا طلبنا منهم ذلك قبل التحدث، أما بقية الطلبة فقد اعتذروا عن ممارسة المهارة.

ولا شك أن مهارة التحدث لا ترتبط فقط بالتمكن من اللغة، إذ تدخل عوامل أخرى نفسية واجتماعية، غير أن اللغة وتعلمها تمثل عاملا مهما وأساسيا في تمكين الطالب من التحدث، ولا يمكننا في هذه المهارة بالذات استبعاد إشكالية الازدواجية، إذ تمثل بوضوح أمام المتابع، فاللجوء إلى اللهجة في كثير من المواقف ما هو إلا لجوء إلى المستوى اللغوي الراسخ في ذهن المتحدث.

ثانيا. النظرة إلى اللغة

وعلى الرغم من أن الكتابة والتحدث كلاهما مهارتا إنتاج إلا أننا نجد الطالب يتقضى أعلى درجات الالتزام بالفصيحة في مهارة الكتابة في حين يلجأ إلى اللهجة في أغلب المواقف التعليمية المرتبطة بمهارة التحدث. وقد استكتب الدارسان مئة طالب في عدد من المدارس مقالة بعنوان: "أطفال اليوم بناء المستقبل"^{vi} فوجدا أن الطلبة جميعهم كتبوا بالفصيحة دون اللجوء إلى اللهجة، في حين تحدثت الأغلبية العظمى باللهجة في المواقف التعليمية المتنوعة، ولعل ذلك يعود إلى اقتران الفصيحة باللغة المكتوبة وفق وعي الطالب، ووفق سيرورته اللغوية منذ بدء تعلمه للغة، فهو يتعلم اللهجة أولا ويستمر في التعامل معها إلى أن يدخل المدرسة، ليتعامل مع العربية بوصفها لغة كتابة، فالمواقف الصفية تقوم على اللهجة في الأغلب، بل إن إحدى الحصص الصفية التي حضرها الدارسان كانت مخصصة لمهارة التحدث، فغلبت اللهجة على لغة المعلم.

تشير العينة التي استكتبها الدارسان إلى محاولة الطلبة استخدام الفصيحة في كتابتهم، فهم واعون أن الكتابة تأتي من خلال الفصيحة، إلا أن كتابتهم أبرزت أخطاء عديدة في عدة مستويات، فبدأت هذه الأخطاء لدى معظم الطلبة من خلال الإخلال بنظام الجملة وبنية الكلمة فضلا عن الأخطاء الإملائية المتعددة. وعلى الرغم من تعدد عوامل هذه الإشكالية إلا أنها تبقى على اتصال واضح بالازدواجية، فعدم تعامل المتعلم مع مواقف تعليمية كافية تمكنه من اكتساب اللغة بالصورة المناسبة سيجعله غير قادر على صياغة جمل سليمة مكتملة الأركان.

ولعل في لجوء تسعة عشر طالبا من أصل مئة طالب إلى مقدمة الخطبة التي تتمثل في حمد الله والصلاة على نبيه الكريم

للفصيحة المعاصرة التي ترتبط بمفردات العصر منذ مراحل التأسيس الأولى، حيث ينبغي أن تشكل بيئة الطالب المدرسية التعليمية من خلال العربية الفصيحة، ولا شك أن للمعلم في ذلك الدور الأكبر، فهو يمثل الجانب الذي يمكن من خلاله تجاوز هذه الإشكالية، وذلك باعتماد الفصيحة قناة لتوصيل المعرفة بدلا من محاولات تقريبها من خلال اللهجة، وإن كان في ذلك قدر من الصعوبة، إذ سيعمل المعلم على ترسيخ نظام لغوي جديد نسيباً على الطالب.

إن فصل اللهجات المحلية عن الفصيحة مطلب ملح من أجل تأسيس عملية تعليمية متكاملة ترتبط فيها اللغة المكتوبة بالمحكية في السياقات العلمية التي من شأنها أن تدخل الفصيحة بالعلوم المعاصرة، ومن شأنها في الوقت نفسه أن تدخل الأجيال الجديدة في المجالات العلمية من خلال اللغة المستخدمة. ولا شك في أن وجود أكثر من مستوى للغة لن يكون ذا أثر سلبي، فهذا المطلب لا يفرض إلغاء اللهجات بطبيعة الحال.

3-مادة التعليم

يؤدي المحتوى التعليمي الذي يقدم في مناهج اللغة العربية دوراً أساسياً في صياغة القيم المرتبطة باللغة فضلاً عن إكساب النظام اللغوي للمتعلم. وحتى تتمكن من إبراز دور هذا المحتوى في ترسيخ القيم لا بدّ أولاً من تناول المواقف التي يتعامل فيها المتعلم والمجتمع مع اللغة العربية الفصيحة. ولو حاولنا حصر هذه المواقف سنجدها مقصورة على بيئات محدودة، فضلاً عن النصوص المكتوبة التي يتعامل معها المتعلم

أما الأثر الثاني للازدواجية في تناول درس اللغوي فيتعلق بالنظرة إلى اللغة نفسها، إذ إن تعليم الفصيحة من خلال اللهجة سيجعل المتعلم في موقع يتعلم من خلاله عن اللغة بدلا من أن يتعلم اللغة ذاتها، وهذا ما سيعمق النظرة إلى العربية الفصيحة على أنها لغة قادمة من عمق التاريخ لا تتعامل مع مفردات المعاصرة، ولا تصلح للتعامل معها. وهذا ما سيؤدي إلى آثار عديدة في مجالات متعددة فضلا عن مجال التعليم الذي اتجه فيه المعلم إلى توصيل قواعد اللغة إلى الطالب على أنها قوالب يمكن أن يتعرف إليها حتى يتخطى مادة الامتحان الثقيلة، فيتوصل إلى إجابات أسئلة القواعد من خلال علامات شكلية يعطيها المعلم للمتعلم حتى يتجاوز الامتحان.

وإذا ما تناولنا آثار هذه الإشكالية خارج فعل التعليم فسند أننا ذات أثر عميق في إيجاد ارتباطات قيمة تتعلق باللغة الفصيحة في مقابل اللهجات، إذ لن نستغرب بعد ذلك أن يعبر عمل درامي عرض على أكثر القنوات العربية متابعة عن إشكالية الازدواجية؛ إذ جاء مسلسل "غرايب سود"^{viii} الذي عرض عام 2016م على قناة MBC ليربط الإرهاب بالفصيحة في حين يربط اللهجات المحلية بالمجتمع المعاصر الرافض للإرهاب.

إن ترسيخ هذه النظرة إلى الفصيحة على أنها لغة غير معاصرة من خلال ممارسة الازدواجية في عملية التعليم سيؤدي إلى آثار خطيرة لا تقف عند الفعل التعليمي نفسه، بل تمتد إلى ثقافة المجتمع ورؤيته وتصورات.

ولا شك أن تجاوز هذه الإشكالات المتعلقة بالازدواجية مرتبطة بمراحل التأسيس بالدرجة الأولى، إذ يفترض بالعملية التعليمية الاتجاه إلى ترسيخ النظام اللغوي

يفترض في كتب مناهج اللغة العربية ألا تكفي بتدريس النصوص الأدبية قديمها وحديثها، بل ينبغي أن ينصرف النظر أيضا إلى النصوص التي تهتم بالثقافة العلمية، لتكون هذه الخطوة على طريق تعريب التعليم الجامعي في الكليات العلمية.

لقد تنبه القائمون على إعداد مناهج اللغة العربية إلى هذه القضية، فاحتوت كتب المناهج بعض نصوص الثقافة العلمية، فمن بين اثنتي عشرة وحدة وحدة في كتاب اللغة العربية للصف العاشر في الأردن اعتمدت وحدتان على نصين في الثقافة العلمية؛ أما الوحدة الأولى فقد جاءت تحت عنوان: "عالم الحيوان" واعتمدت في نص القراءة على مقالة بعنوان: "الأركا" ليعقوب صروف^{viii}، أما الوحدة الثانية فقد جاءت تحت عنوان: "من أمراض العصر" واعتمدت في نص القراءة على مقالة مترجمة بعنوان: "التوحد"^{ix}. ولا شك في أن مثل هذه المقالات من شأنها أن تؤسس لثقافة لغوية أكثر ارتباطا بمعطيات العصر.

4- مرونة اللغة

من الطبيعي أن تتعرض أي لغة لتطورات متعددة خلال مسيرتها التاريخية، والناظر في العربية الفصيحة إذا ما استبعدنا اللهجات سيجد أن هذه التغيرات محدودة لم تصل إلى عمق النظام اللغوي. وقد انتشرت هذه التغيرات من خلال مهارة الكتابة فأصبحت شائعة في لغة الصحافة والإعلام والترجمة. وهذا ما فتح المجال للمختصين في اللغة لدراسة هذه التغيرات؛ ما ولد عنوانا رائجا في الدراسات اللغوية يتمثل في الأخطاء الشائعة.

سنجد أن الفصيحة محدودة بلغة الإعلام في عدد من القنوات، وخطب الجمعة، بالإضافة إلى المواقف الصفية التي يلتزم فيها المعلم بأداء الفصيحة، بل إن المواقف الصفية في التعليم العالي تلجأ إلى اللغة الإنجليزية في كليات العلوم البحتة، لتتخصص العربية في كليات الآداب والعلوم التربوية، ولا شك في أن لذلك أثرا مهما على اللغة فضلا عن أبناء اللغة.

لقد اتسعت اللغة العربية في مراحل تاريخية سابقة حققت من خلالها الحضارة العربية الإسلامية إنجازات مهمة في العلوم والفلسفة، غير أن ما ينبغي الالتفات إليه في هذا المجال أن المتداول في العصر الحديث من تراثنا كله ينحصر في مجالي الآداب وعلوم الدين، أما التراث العلمي فإذا ما استثنينا بعض المصطلحات المحدودة كعلم الجبر والخوارزميات فلن نجد هذا التراث إلا في الدراسات المختصة بتاريخ العلوم.

غالبا ما يطرح تدريس العلوم من خلال العربية على أساس ارتباط عاطفي أو قومي باللغة، غير أن هذا المطلب يتعدى النظرة العاطفية، فاللغة التي لا تتعامل مع العلوم على تنوعها ستكون محملة بمحمولات عاطفية أكبر، وستعكس هذه المحمولات على المتحدثين بها بطبيعة الحال. وبذلك سيكون اتهام بعض المستشرقين للغة العربية بأنها لغة خطابية اتهامها في مكانه، فاللغة بطبيعة الحال تتطوع للموضوعات التي تستخدم فيها.

إن تجاوز هذه الإشكالية في تعليم العربية يحتاج إلى جهود تتجاوز إمكانية جامعة أو حتى وزارة في أي دولة عربية، خاصة إذا كان هذا الإصلاح متعلقا بالتعليم الجامعي، غير أن من الضرورة بمكان اتخاذ إجراءات مبدئية تتعلق بالتعليم المدرسي، إذ

سيجعل الطالب أمام موقف لغوي حيوي يمكن من خلاله تجاوز الأخطاء الساطعة التي يرتكبها عادة. ولا شك أن مثل هذه التدريبات ستجعل الطالب أكثر وعياً بطبيعة التركيب اللغوي، فضلاً عن محاولتها زيادة وعي الطلبة بما يمكن أن يرتكبوه من أخطاء.

إن تعامل الطالب مع مثل هذه النماذج النصية المتداولة سيجعل اللغة أقرب إلى الطالب الذي يتعامل عادة مع اللهجات المحلية، فهو في مثل هذه المواقف التعليمية يتعامل مع الأخطاء الشائعة التي يرتكبها عادة إذا ما حاول استخدام الفصيحة، كما أن مثل هذه المواقف التعليمية تسهم في نقل الطالب من النظر إلى النص المكتوب على أنه شكل مكتمل دائماً إلى نظر آخر يتقبل تطوير النص وينمي التفكير الناقد لديه.

ثانياً. تطورات لا تمس جوهر النظام اللغوي بقدر ما تضيف إليه ما يمكنه من التعبير بصورة أكثر وضوحاً للمتلقى، خاصة مع ابتعاد المتلقي عن اللغة العربية الفصيحة في التراث. ومن أهم ما يمكن أن نتناوله في هذا المجال الاستخدامات الجديدة للمفردات، بما يتوافق والمعجم العربي، كما هو الحال في كلمة "منسوب" للدلالة على مستوى المياه^{xi}، وأدوات الربط التي تستخدم نتيجة الميل إلى إيضاح الرسالة اللغوية، كما هو الحال في استخدام "بالنسبة لكذا"^{xii} بمعنى "فيما يتعلق ب". وكما هو الحال في العديد من الأخطاء التي يشير إليها المتابعون للغة الترجمة، كاستخدام الفعل "يشكل" في جملة مثل: "إن هذه القضية تشكل خطراً"^{xiii}. إن مثل هذه التعابير المستجدة لا يمكن تناولها على أنها أخطاء مخلّة في اللغة. والتخطيء من خلالها لن يفيد اللغة أو متعلم اللغة بقدر ما يؤدي إلى التضيق عليه.

والناظر في هذا العنوان الدارج في دراسة العربية سيجد أنه لا يخرج عن عنوان هذه الدراسة، فالأخطاء الشائعة حقل يحاول أن يشد الاستخدام اللغوي نحو الموروث، إذ يتراوح هذا التناول بين التشدد والتهاون، وإذا ألقينا نظرة عامة على الأخطاء الشائعة لوجدنا أن من الممكن تصنيفها في صنفين:

أولاً. أخطاء تتعلق بالخروج عن أساسيات النظام اللغوي النحوي والصرفي والصوتي، وهذه الأخطاء يفترض أن تتناولها كتب المناهج المدرسية من خلال الدروس والتدريبات اللغوية والنحوية، وهي الأخطاء التي يفترض التركيز على تجاوزها أيضاً في لغة التخاطب والكتابة.

وعلى الرغم من تناول العديد من الدروس الصرفية والنحوية في كتب المناهج المدرسية بصورة عامة إلا أننا لم نعثر على تدريبات تضع الطالب أمام موقف لغوي يحاول من خلاله أن يصوب الأخطاء الشائعة لدى الطلبة، كرفع المنصوب ونصب المرفوع، واستخدام الصيغ الصرفية في غير موضعها الملائم. فالتعامل مع نصوص التدريبات ما زال متأثراً بفكرة النص المكتمل الذي لا تشوبه شائبة. وهذا ما انعكس بطبيعة الحال على الأسئلة التي تعقب هذه النصوص، فهي تركز على استخراج مثال لشكل لغوي، أو زنة كلمة معينة، أو تحديد نوع كلمة ما، أما إعراب كلمة معينة فغالبا ما يتعامل معه المنهاج على أنه المستوى الأكثر تقدماً، إذ يأتي آخر سؤال تقويمي^x.

ولعل اقتباس نصوص من الكتابات الصحفية والكتب المتنوعة أو حتى كتابات الطلبة التي شابتها بعض الأخطاء اللغوية بغية تنقيحها والوصول بها إلى نصوص أكثر اتساقاً من خلال تدريبات لغوية مناسبة

ما يبرز معاصرة اللغة العربية، إذ يمكن اعتبار هذا الإجراء خطوة على طريق تعليم التخصصات الجامعية باللغة العربية. ولا شك أن اللغة المعاصرة سوف تتقبل بعض التغييرات التي لا تشكل خطرا على نظامها الذي يمثل جوهرها، إذ يفترض التركيز في المناهج المدرسية على الأساسيات اللغوية دون الدخول إلى قضايا لن تفيد في تعليم اللغة بقدر ما تنفّر المتعلم من تعلمها.

والناظر في كتاب منهاج الصف العاشر الأساسي سيجد أن القضايا اللغوية التي عولجت تمثل أساسيات القواعد في العربية، فلا تناول لمثل هذه القضايا الخلافية التي لا تؤدي دورا مهما في اكتساب النظام اللغوي لدى الطالب، وهذا ما يشير إلى وعي القائمين على المنهاج للمهارات اللغوية التي ينبغي تناولها في هذه المرحلة.

خاتمة

يواجه تعليم العربية تحديات عديدة على أكثر من مستوى، وأول هذه التحديات يتعلق بمستوى اللغة المتعلمة، ولا شك أن هناك ما يقرب من الإجماع على ضرورة تعليم العربية الفصيحة بصورتها المعاصرة التي تسعى لأن تكون حاوية للعلوم الحديثة. أما تحقيق مسعى تعليم هذه اللغة فيتطلب الالتفات إلى لغة التعليم والتعلم بوصفها قناة لتعليم اللغة ومهاراتها، كما يتطلب الالتفات إلى طبيعة المادة المتعلمة، وطبيعة اللغة التي تنقل من خلالها هذه المادة.

لم يتم تعليم مهارات اللغة العربية على أساس منسجم في داخله، فغالبا ما يلجأ المعلمون إلى تعليم الفصيحة من خلال اللهجة، وهذا ما يؤدي إلى اختلالات متعددة في فهم اللغة واستخدامها فضلا عن النظرة إلى هذه اللغة بوصفها نظاما لغويا بعيدا عن مجال الاستخدام، ولعل في استخدام اللغة العربية الفصيحة في العملية التعليمية نفسها بالإضافة إلى لغة الكتاب المدرسي ما سيسهم إسهاما حقيقيا في اكتساب هذه اللغة بوصفها لغة معاصرة قابلة للتعامل مع شتى مجالات المعرفة.

ولعل في اختيار عدد من نصوص الثقافة العلمية في كتب منهاج اللغة العربية

- كثرت الدراسات التي حاولت التأسيس للنظريات اللغوية الحديثة. انظر مثلاً: الموسى، نهاد: نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، i دار البشير، ط2، عمان، 1987.
- ii أشار بعض الدارسين إلى أثر التعليم في تشكيل اللغة العربية المعاصرة؛ انظر مثلاً: البدوي، السعيد محمد: مستويات العربية المعاصرة في مصر: بحث في علاقة اللغة بالحضارة، دار المعارف، القاهرة، 1973، ص133، حيث يشير الدارس إلى أثر التعليم في لغة الإعلام.
- iii حول نطق حرف الضاد، انظر: بشر، كمال: علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ص ص 253-272.
- iv دَوّن الباحثان ملاحظتهما على ست حصص صفية حضراها في ثلاث مدارس في محافظة جرش؛ وذلك على النحو الآتي: ثلاث حصص في مدرسة الخنساء الثانوية الشاملة للبنات، وحصّة واحدة في مدرسة زيد بن حارثة الثانوية الشاملة للبنين، وحصتان في مدرسة باب عمان الثانوية الشاملة للبنين طبق هذا الاختبار على طلبة الصف العاشر الأساسي في مدرسة الخنساء الثانوية للبنات في مدينة جرش في الأردن، وعلى طلبة الصف العاشر في مدرسة زيد بن حارثة الثانوية الشاملة للبنين.
- vi طلب الدارسان من مئة طالب في الصف العاشر الأساسي في مدرستين كتابة مقالة بعنوان: "أطفال اليوم بناء المستقبل"، والمدرستان هما: مدرسة الخنساء الثانوية الشاملة للبنات، ومدرسة زيد بن حارثة الثانوية الشاملة للبنين. وقد استمع الدارسان إلى الطلبة في المدرستين ذاتيهما لاختبار مهارة التحدّث الفضائية عام 2016، سيناريو وحوار: لين فارس، إخراج: حسام الرنتيسي وآخرون MBC عرض هذا العمل الدرامي على شاشة.
- vii انظر: سلامة، أمال سليمان ، وآخرون: اللغة العربية: الجزء الأول، وزارة التربية والتعليم، عمان، ط2، 2017، ص 60.
- viii انظر: سلامة، أمال سليمان ، وآخرون: اللغة العربية: الجزء الثاني، وزارة التربية والتعليم، عمان، ط2، 2017، ص 52.
- ix انظر مثلاً: المذهان، صالح فليح: قواعد اللغة العربية: الجزء الثاني، وزارة التربية والتعليم، عمان، ط2، 2017، ص ص 30-33. وانظر: أمال x سليمان سلامة، وآخرون: اللغة العربية: الجزء الأول، ص36.
- xi انظر: العدناني، محمد: معجم الأخطاء الشائعة، مكتبة لبنان، بيروت، ط3، 1983، مادة "نسب"، رقم المادة: 1038.
- xii انظر: المصدر نفسه، مادة "نسب"، رقم المادة: 1037.
- xiii انظر: العقاد، عباس محمود: أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2013، ص 89.

المصادر والمراجع

- البدوي، السعيد محمد: مستويات العربية المعاصرة في مصر: بحث في علاقة اللغة بالحضارة، دار المعارف، القاهرة، 1973
- بشر، كمال: علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000
- سلامة، أمال سليمان ، وآخرون: اللغة العربية: الجزء الثاني، وزارة التربية والتعليم، عمان، ط2، 2017.
- تجارب صفية أجراها الباحثان في عدد من المدارس هي: مدرسة الخنساء الثانوية الشاملة للبنات في مدينة جرش في الأردن، ومدرسة زيد بن حارثة الثانوية الشاملة للبنين في مدينة جرش في الأردن، ومدرسة باب عمان الثانوية الشاملة للبنين في مدينة جرش في الأردن.
- العدناني، محمد: معجم الأخطاء الشائعة، مكتبة لبنان، بيروت، ط3، 1983.
- المذهان، صالح فليح: قواعد اللغة العربية: الجزء الثاني، وزارة التربية والتعليم، عمان، ط2، 2017.
- العقاد، عباس محمود: أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2013
- الموسى، نهاد: نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، دار البشير، ط2، عمان، 1987.